

أسباب غياب الإبداع

في العالم العربي

د. ربما سعد الجرف

كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود

كتبت عام 1989م

غياب الإبداع في العالم العربي

إذا افترضنا ان نسبة الموهوبين والمتفوقين في العالم العربي هي 5%، وأن في العالم العربي 300 مليون نسمة، كان هناك 15 مليون موهوب في العالم العربي. وإذا افترضنا أن الإبداع ليس مقصورا على فئة الموهوبين والمتفوقين، وأن كل انسان، رجلا كان أو امرأة، طفلا كان أو راشدا بإمكانه أن يكون مبدعا في نشاط ما، لك أن تتصور نسبة الاعمال الابداعية التي يمكن أن نحصل عليها. ولكن واقع الحال يشير إلى غير ذلك. وفي اعتقادي ان انعدام الإبداع في عاملنا العربي يعود الى عدة أسباب تتعلق بالاسرة والمدرسة وجو العمل، وإمكانيات البحث العلمي والفرد نفسه والمجتمع.

معوقات الإبداع في الأسرة

الأسرة هي البيئة الأولى التي تكتشف فيها موهب الطفل وتترعرع. ولكن الأسرة العربية لا تمنح طفلها المبدع ما يحتاج اليه من حب وتقبل وتشجيع ورعاية واهتمام. يستوي في ذلك الوالدان المتعلمان وغير المتعلمين. فكثيرا ما يكون موقف الوالدين من الطفل المبدع سلبيًا بل محبطًا. فإذا أظهر الطفل اهتماما بالموسيقى أو الرياضة أو الرسم أو قراءة القصص أو كتابة الشعر أو جمع الطوابع أو فك الألعاب والأجهزة في المنزل وتركيبها، قام الوالدان بتعنيف الطفل وعقابه بحجة أن تلك الاهتمامات التافهة تضيع وقته وتصرفه عن استذكار دروسه. حتى إذا ما وصل الطفل الى المرحلة الجامعية، أرغمه والداه على دراسة تخصص لا يميل إليه. لي صديقة من دولة عربية شقيقة موهوبة في الرسم (رسم أفلام الكرتون) وكانت تدرس الكيمياء بالجامعة. فقلت لها: أنت موهوبة، لماذا لا تلتحقين بطلية الفنون الجميلة؟ فأجابت بأن والدها (وهو أستاذ جامعي) يمانع في ذلك لأن في تعلم الرسم إضاعة للمستقبل.

اضافة الى ذلك، الجو المنزلي في بلادنا العربية لا يستثير عقلية الطفل. اذا لا يوجد في المنزل مكتبة تحتوي على كتب تناسب مستوى الطفل وميوله. وكثير من الآباء لا يقرأون، ولا يمارسون أية هواية أو نشاط اباعي داخل المنزل وخارجه. وليس لديهم ميول نحو الأدب والفن، ولا يحسنون استغلال أوقات فراهم. فإذا سلمنا أن الطفل يكتسب كثيرا من العادات وأنماط السلوك ومنها النشاط الإبداعي من الأسرة، لمن أين يأتي الإبداع اذا كان الجو الذي يعيش فيه الطفل لا يثير ذلك. أضف الى ذلك أن الوالدين لا يشجعان ابناهما على القراءة وممارسة هواياتهم واهتماماتهم، ولا يشاركانهم إياها، ولا يتيحان لأبناهما فرصا للتعلم وتنمية مواهبهم داخل المنزل وخارجه، ولا يزودانهم بالمواد التعليمية والأدوات والخامات التي يحتاجون إليها لمزاولة نشاطهم الإبداعي، ولا يشرفان على عملية تنظيم أوقات الأبناء بين الاستذكار وممارسة النشاط الإبداعي. اللعب بالسوني ومشاهدة الأفلام والخروج والزيارات والانشغال بالجوال والرسائل والفيديو كليب والدردشة بالماسنجر.

محفقات الإبداع في المدرسة

الجوا للمدرسي في بلادنا العربية لا ينمي روح الإبداع والابتكار لدى الطلاب، ولا يشجع حاجة الطالب المبدع الى التقبل والاحترام والتقدير والإرشاد والاستقلال والتحدى وتحقيق الذات وذلك للأسباب التالية:

- اننا نستخدم كتابا مقررنا واحدا وطريق تدریس واحدة لجميع التلاميذ من متفوقين ومتوسطين وضعاف في الصف الدراسي الواحد على مستوى المدرسة والمدین والدولة، دون مراعاة للفروق الفردية بين التلاميذ في القدرات والاستعدادات والميول والحاجات. ويجبر الطالب المتفوق على دراسة مادة معينة وكتابا معيننا حتى ولو كانت سهلة جدا بالنسبة له. ولا يوجد عندنا برامج تعليمية خاصة بالموهوبين تتناسب مع قدراتهم واستعداداتهم. اضافة الى عدم وجود برامج وأنشطة خاصة لتنمية القدرات الإبداعية في الكتابة والفن والموسيقى والرياضيات والعلوم. يوجد عندنا أنشطة لاصفية مملة يمارسها الطلاب لمدة ساعة أو ساعتين في الاسبوع، وما هي الا امتداد لما يدور داخل الفصل.
- ان طريقة التدریس التي يستخدمها كثير من المدرسين تقوم على الحفظ والتلقين، ودور الطالب فيها سلبي. فالمدرس يشرح ويحاضر والطالب يستمع ويردد في الفصل وفي الامتحان ما يقوله المدرس وما يقوله الكتاب المدرسي. ان طريقة التدریس والتقويم المستخدمة في مدارسنا تنمي لدى الطلاب مهارات الحفظ والتذكر فقط، أما المهارات اللازمة للإبداع مثل المهارات الدراسية والقراءة والكتابة ومهارات استخدام المكتبة وكتابة البحث ومهارات التفكير الناقد (التحليل) ومهارات التفكير الابتكاري (التركيب) فلا حظ لها على الاطلاق. كما أن طريقة التدریس المتبعة لا تشجع الطلاب على التفكير المستقل. اذ نادرا ما يتيح المدرس للتلاميذ فرصة المناقشة وابداء الرأي والاعتراض وتقديم عدة حلول أو عدة اجابات أو عدة أسباب لمشكلة معينة. ونادرا ما يعطى الطالب حرية التعبي عن النفس شفها وتحريريا وحيرة التجريب والوقوع في الخطأ. بعض المدرسين يتضايقون من الطالب الذي يكثر من طرح الاسئلة ويعتبرونه ولا يترددون في توبيخه.
- المدرسون في مدارسنا غير مؤهلين للعمل مع الطلاب المبدعين ، وليست لديهم القدرة على اعداد أنشطة اضافية (انشطة اغناء) تناسب الطلاب المبدعين.
- المعلم نفسه غير مبدع، لا يهتم باثقافة والتجديد. فالمعلم يدرس المادة نفسها سنوات وسنوات، وينقل تحضير الدرس من كراسة العام الماضي الى كراسة العام الحالي، ويستخدم المحاضرات نفسها أو المراجع نفسها التي كان يستخدمها منذ عشر سنوات أكثر.
- عدم تشجيع ادارة المدرسة والمعلمين للتلاميذ المبدعين داخل المدرسة وخارجها، وعدم اتاحة الفرصة لهم لابرار نشاطهم الإبداعي.

- عدم وجود ميزانية مخصصة لشراء المواد التعليمية والمواد الخامات والادوات التي يحتاج اليها الطلاب المبدعون لمزاولة نشاطهم الابداعي.

مخوقات الابداع في العمل

- كثيرا ما يوضع البدع في وظيفة لا تتناسب مع تخصصه أو قدراته، وقد يوضع غير المؤهل وغير المتخصص في وظيفة تتطلب قدرا من التخصص والتدريب والتأهيل.
- عدم تدريب العاملين على اعباء الوظيفة الجديدة قبل الالتحاق بالمهنة وعدم اقامة الدورات التدريبية لهم أثناء الخدمة لاطلاعهم على ما يستجد في الميدان.
- عدم تشجيع الرؤساء في العمل وتقبلهم وتقديرهم للأفكار الجديدة.
- خوف الرؤساء والزملاء من تفوق المبدع عليهم وقد يدفعهم هذا الى التآمر عليه أو وضع العراقيل أمامه أو مضايقته.
- عدم وجود حوافز مادية ومعنوية للابداع في العمل.
- سخرية الزملاء من حماس المبدع ونشاطه وأفكاره، وقد يدفعه هذا الى الانكماش والسلبية.
- البيروقراطية.
- عدم اتاحة الفرصة للتجريب والتجديد.
- انعدام حرية التعبير عن الرأي.
- عدم كفاية الأجهزة والأدوات والمواد اللازمة للنشاط الابداعي.

مخوقات الابداع في البحث العلمي

- نقص المهارات اللازمة للبحث لدى الباحث مثل مهارات استخدام المكتبة والسرعة في القراءة والقدرة على القراءة الدقيقة، ومهارات كتابة البحث العلمي، والقدرة على تصميم التجربة وتنفيذها، والقدرة على اجراء التحليلات الاحصائية اللازمة.
- عدم تخصيص ميزانية كافية لاجراء البحوث، وحتى اذا توفرت الميزانية، فانها لا تمنح لمن يستحقها من الباحثين.
- عدم توفير ما يحتاج اليه الباحث من أجهزة وأدوات ومواد تعليمية ومواد كيميائية ومصادر المعلومات اللازمة لاجراء البحوث من كتب ودوريات حديثة.
- عدم اتاحة الفرصة للباحث لحضور الندوات والمؤتمرات المتعلقة بتخصصه، ولك للاطلاع على احدث ما توصل اليه غيره من الباحثين.
- لا يوجد حوافز مادية ومعنوية للبحوث والاعمال الابداعية مثل تقديم الجوائز التقديرية للمشروعات العلمية.
- عدم وجود مراكز للابحاث.

معوقات اجتماعية

- عدم تكريم المبدعين من المدرسين والمهندسين والاطباء والعلماء والادباء والطلاب والاطفال.
- عدم اقامة المعارض والمسابقات والندوات لتعريف الجمهور بالاعمال الابداعية للأطفال والطلاب والمدرسين والعلماء وغيرهم.
- عدم اقامة الندوات على المستوى المحلي لاثرء الحياة الفكرية للجمهور.
- عدم قيام وسائل الاعلام بالتعريف بالمبدعين وأعمالهم الابداعية.
- سخرية الأصدقاء والأقارب من الأعمال الإبداعية. أعرف فتاة تجيد أشغال الإبرة إلى حد كبير وتقضي جل وقت فراغها في ذلك، فإذا كانت في زيارة إحدى صديقاتها أو قريباتها أو كانت إحدى صديقاتها أو قريباتها في زيارة لها سخرن مما تفعل وقلن لها: انت تجهدين عينيك وتتعبين نفسك وتضيعين وقتك في أشياء تافهة.

معوقات ذاتية

- الإبداع يحتاج إلى تكريس الوقت والجه للنشاط الإبداعي، وكثير من الناس يحبون الراحة والدعة وبذل أقل ما يمكن من المجهود.
- عدم وجود حافز داخلي إلى التفوق والتجديد.
- عدم الرغبة في الاكتشاف.
- عدم الرغبة في تحسين وتطوير الذات والقدرات.
- عدم الاستمتاع بالأنشطة والعمل.
- عدم وجود الاهتمام بأوقات الفراغ.

تأثير ظهور الإبداع العربي على الفعل الاجتماعي اليومي على

مستوى الفرد والجماعة

- الملل هو النتيجة الطبيعية الطبيعية لوجود الشخص المبدع في محيط غير مبدع.
- عدم اهتمام الطالب المبدع بالمواد الدراسية وهذا يؤدي إلى عدم الانتباه وقد يؤدي إلى التأخر الدراسي.
- الشعور بالإحباط.
- الانسحاب والانتواء وصعوبة التكيف.
- يكون الطفل منبوذاً.
- احساس المرء بعدم جدواه وأهميته.
- انعدام الدافعية للعمل والدراسة.

- عدم استغلال الطاقة الابداعية.
- عدم تحقيق الاهداف على مستوى الفرد والجماعة.
- عدم تنمية القدرات الى اقصى حد ممكن وهذا يؤدي الى هبوط مستوى الطلاب والعاملين.
- انخفاض مستوى الاداء في العمل.
- عدم الرضا عن العمل وبالتالي عدم الرضا عن الحياة.
- عدم اشباع حاجات الطالب والموظف وقد يؤدي هذا الى الاضطرابات النفسية.
- انخفاض مستوى الجهد المبذول في العمل.
- زيادة التوتر.
- عدم الرضا عن الزملاء وقد يؤدي الى الصراع.
- تصبح انماط التفاعل بين الفرد والجماعة سلبية.
- انخفاض مستوى العمل كما وكيفاً.
- نصبح متلقين لما أبدعه غيرنا.
- هجرة العقول العربية الى الخارج.
- ضياع مكانتنا بين دول العالم.
- فقر الحياة الثقافية والعلمية.